هذا ما اقترفه أبي

ميادة خالد

رواية

هذا ما اقترفه أبي

ميادة خالد

رواية



تـم نشـر هـذا الكتـاب مـن خـلال مبـادرة اقتبـاس للنشر الحديث، وتحت سياستها الخاصة والتي تتمثـل في نشـر العمـل كمـا يرسـله الكاتـب، دون تعديل أو مراجعة أو حتى إبـداء رأي، فقـط تتيـح المبادرة للكاتب فرصة الوصول للقارئ.

رقم الإيداع

2022/3977

الترقيم الدولي

978-977-6942-60-8

الطبعة الأولى

" الذنب الوحيد الذي يمكن أن تقترفه ذات يوم،

هو بقائك حيا "

#مياده_خالد

في تمـام الحاديـة عشـر، توقفـت امـام بـاب تلك القاعـة الـصغيره، انـه الموعـد المحـدد للجلسـه، طرقـت البـاب بهـدوء ودلفـت إلي الـداخل بإبتسـامه، تجاهلـت كل الاعـين المتعجبـه علي الـرغم مـن نظراتهـا القاتلـه، أعلـم ان

الامر لن يكون يسيرا مطلقا، حافظت علي ابتسامتي الهادئه وألقيت التحيه..

_ صباح الخير، أعلم انكم تتسألون عمن انا وكيف لي أن أتواجد هنا، ربما من المفترض ألا أكون هنا ولكن في النهايه ها أنا اقف أمامكم الأن، أعرفكم بنفسي، أنا دكتوره "ماريهان "، طبيبتكم الجديده

ساد الصمت للحظات، الجميع يحاول الاستيعاب، علت الهمهات، يتغير الوضع تدريجيا، حالة من الهرج والمرج تسود، وقفت اراقب في صمت، بعضهم يعلن اعتراضه علي ذاك التغير المفاجئ، والبعض الاخر يرفض استكمال الجلسات برفقتي، وجزء اخرا منهم يرفض وجودي انا بشخصي، تنحنحت بهدوء ليسنحوا لي بالتحدث، حل الهدوء ونظراتهم توجهت نحوي، الفضول يملأ أعينهم...

_ لا أعلم السبب الذي يجعلكم ترفضون تواجدي هنا، ولكن دعونا نجرب، اسمحوا لي بفترة قصيرة جدا، إسبوع واحد !، والأن لنبدأ أولي جلساتنا سويا..

تناقشنا لوقت طويل، لاحظت تغير طفيف قد حدث، أعتقد أنهم قد تقبلوا الأمر ولو قليلا ،باستثناء إحداهن..

تابعت " هنا " بعيني طوال الجلسه، لم ألحظ عليها أي تعبيرات، فقط ترمقني بنظرات غير راضيه عن وجودي، لا أعلم سر تلك الفتاه، لكني أعلم أن هناك أمر ما، الجميع يحذرني منها منذ أن خطوت أولي خطواتي هنا..

انتهت الجلسة، انصرف الجميع، ما زلت لا أفهم ما خطب " هنا "، جلست بالقاعة ولم أغادرها، تذكرت نظراتها، الأمر بالفعل ليس طبيعي..

_ مرحبا دكتورة ماريهان، أنرتي..

نظرت نحو مصدر الصوت، أعلم تفاصيل ذاك الصوت جيدا، نعم إنه هو، دكتور " مختار "..

ابتسمت بملل :

_ مرحبا دكتور " مختار "، ماذا تفعل هنا ؟

_ أنا أعمل هنا، هل رأيتي ترتيبات القدر كيف تجمعنا ؟

_ نعم، ستكون خير زميل لي بالتأكيد..

غادرت القاعة سريعا تحت نظراته الناريه، أعلم جيدا ما يعنيه هو، الامر ليس بزمالة مطلقا..

مر أكثر من ثلاثة أيام، دعوت المرضي لجلسة أخري سأكون أنا الطرف الأول بها، الأمر سيحتم اليوم، فإما البقاء، وإما الرحيل..

بعد تبادل الابتسامات المحببه داخل القاعه، عرضت عليهم أمرا وجلست أتابع ردودهم :

_ دعونا نغير روتين الجلسات اليوم، سأخبركم بقصة ليست بجديده، ولكنها مثيرة للاهتمام قليلا..

ستة أصدقاء أرادوا اللعب، نعلم جميعا أن اللعب ليس بمخاطره، ولكن الأمر هنا مختلف، لقد أختار الأصدقاء اللعب علي السكك الحديديه، أحدهم يمر القطارات منه، وأخر بجانبه مهجور..

أتعتقدون أي منهم يقع عليه الاختيار ؟

سمعت اجابة بعضهم فقط، وكأن بقيتهم لا يستطيعون التحديد :

_ المهجور..

أكملت أنا:

_ بالتأكيد هذا صحيح، ولكن الأمر إختلف معهم قليلا، فقط إتنين منهم قرروا اللعب علي تلك القضبان المهجوره، وأربعة أخرين قرروا اللعب فوق القضبان الذي يمر القطار فوقها، نصحهم صديقيهم ولكن دون فائده، اخبروهم بأنهم علي أتم الإستعداد للهروب فور مجئ القطار، تزايدت أعداد الأطفال بالأنضمام للعب فوق القضبان، وكما يقال " الرأي للأغلبيه "، فأعتقد الأطفال أن أيضا التصرف الصحيح للأغلبيه، فأنضموا جميعا للعب علي قضيب القطار الذي يعمل، وصل عدد الأطفال إلي أكثر من عشرين طفلا، وجاء القطار فجأة و دون سابق إنذار، حينما رأي السائق مايحدث لم يستطع أن يفعل شيئا، أمامه أكثر من عشرين طفلا! نظر للاتجاه الأخر ليجد أن أثنين فقط هناك، قرر السائق أن يكمل

طريقه علي القضيب المهجور، فبدلا من أن يقتل عشرون، قرر أن يموت الطفلان الاخرين..

أنهيت القصة ونظرت لأعينهم المندهشه، ثم طرحت سؤالا :

_ هل استفدنا من تلك القصة شيئا ؟

سمعت الكثير من الاجابات المرضيه والبعض من الإجابات غير المرضيه :

_ نعم، ليست الأغلبيه دائما علي حق..

_ الكثير يهلك القليل..

_ الخطأ الصغير يؤدي إلي الهلاك..

_ الاغلبيه تنجي..

انتهت لاجاباتهم الكثيره، غرقنا في بحر النقاشات، علمت أن أمر رحيلي قد إنتهي..

الجميع متفاعل معي إلا تلك " الهنا "، ترمقني بنظرات ناريه لااعلم ما سببها، وأخيرا إنتهت الجلسه

بينما انصرف الجميع تنهدت بارتياح ومازال عقلي ينشغل ب " هنا " حتي سمعت همسا بجابني يخبرني :

_ كان يمكن ان ينجو الجميع..

للوهلة الاولي شعرت بالفزع ؛ فلا احد هنا حتي اسمع ذاك الهمس التفت حولي مليا حتي وجدتها..

انها " هنا "، تماسكت قليلا من فزعي وبادرتها بسؤال:

_ لم انت هنا يا " هنا " ؟

_ لانك تريدين اجابتي، دكتوره..

تعجبت اكثر ولم استطع ان اكمل الحديث معها، كيف لها ان تعرف بالامر، لم اتوجه لها بأي كلمة تبوح عما بداخلي !

_ "هنا" صغيرتي، اي اجابة تودين ان تسمعيني اياها ؟

ابتسمت ببراءه:

_ لست انا من تريد ان تجيب يادكتوره، انت من تريدين الاستماع لي، وهو من سيجيبك..

رحلت وقد تحولت ابتسامتها البريئه إلي ابتسامه شامته

اي نوعٍ من الشماته يمكن ان تمتلكها طفلة كهذه !

نظرت نحو الباب فلم أجد لها أثرا، وكأنها لم تكن هنا..

ياإلهي لابد أنني اتوهم.

هممت بالخروج فإستوقفتني ورقه صغيره مطويه وملقاه علي الأرض، في مكان كهذا من المستحيل أن يلقي بالقمامة ارضا هكذا، انحنيت لالتقاطها، وكما توقعت بالفعل هي ليست قمامه، بل أنها رسالة لي، تكملة لما قالته " هنا "..

" كان يمكن ألا يموت أحدا، كان من الممكن أن يتوقف القطار، الجميع ينجو والحياة تسير، الاطفال يعلمون

خطأهم دون أن يخسروا حياتهم، لم يكن اكمال الطريق سريعا بالأمر الجلل، بل هو أمر فارغ أفقد إثنين حياتهم ليدمر حياة ثالثة "

تعجبت كثيرا، أي ثالثة ذاك ؟

ذهبت لأبحث عنها، لم يستغرق الأمر كثيرا، وجدتها تجلس بالحديقة المرفقة بالمصحة تدون شيئا، جلست بجانبها، أغلقت المذكرات التي تدون بها فور أن رأتني، تنهدت ونظرت نحوي بخوف وتوتر فألقيت عليها سؤالي وأنا امد لها يدي بالورقه :

_ هل هذه لك ؟

مدت يدها بسرعه واختطفتها :

_ نعم إنها لي.

_ اسمح لي أن اسألك، اي ثالثة تحدثتي عنها بالورقه ؟ القصة لم يكن بها طرف ثالث !

ضحكت بشده وأجابتني :

_ أتظنين أن ما ألقيته علي مسامعنا اليوم هو مجرد قصه متداوله ؟

_ ماذا تقصدين ؟

_ أخبريني دكتوره، انت غريبه عن بلدتنا أليس كذلك ؟

_ نعم، ولكن كيف عرفتي ؟

_ لأنك أنت لا تعرفين.

_ ما هو الشئ الذي لا أعرفه ياصغيره ؟

_ لا تناديني بالصغيره..

_ حسنا، ماهو الشئ الذي لا أفهمه ؟

_ القصه، أنت لا تعلمين أنها ليست مجرد قصه سمعتيها بالخارج لتأتي إلي هنا وتلقيها علي مسامعنا، هي ليست مجرد قصه، إنها حقيقه، واقع حدث بالفعل.

_ واقع! أي واقع هذا ؟ الواقع هو أن القطار لا يمكن أن يحيد عن مساره.

_ لكنه حاد، حاد القطار ليلقي بي أنا هنا بين جدران تلك المصحه، حاد ليحول حياتي إلي جحيم.

رحلت إلي غرفتها، مر وقت كبير حاولت فيه معرفة تفاصيل أكثر ولكن دون جدوي، لا تتحدث معي عن الامر مطلقا رغم أنني من تبنت حالتها بالعلاج، 6 أشهر كامله دون أي جديد، هي ليست مريضه من الأساس، ولا أفهم مايحدث، قررت أن اذهب إلي غرفتها لعلي استطيع التحدث معها خارج حدود الجلسات العلاجيه، فحتي المقابلات العلاجيه الخاصه تكون في مكتبي..

هاتفي يعلن عن مكالمه، إنها الطبيبه السابقه هنا..

_ مرحبا دكتوره " هند "، كيف أحوالك..؟

_بخير، أسفة للازعاج ولكن لدي شئ مهم لأخبرك به..

_ خير ؟ هل حدث شئ ؟

_ هل يمكن لنا أن نتقابل اليوم ؟

_ بالتأكيد، السابعة مساءا ؟

_ حسنا، سأنتظرك..

أنهيت عملي سريعا، أمسكت بملف " هنا "، تقريراتها لا توحي بأن شيئا يختلف بمرور الوقت، الوضع هو ذاته، الأمر مثير للقلق حقا..

الساعه تدق معلنه عن السادسه، غادرت مكتبي إستعداد لمقابلة الطبيبه..

ذهبت في الموعد إلا أنني لم أجدها، إنتظرت لوقت، ليس بالكثير غير أنها لم تأتي، أتاني النادل بورقه صغيرة وأخبرني أن أحداهن تركتها لي وطلبت أن يخبرني أنها لن تستطيع أن تأتي، شعرت بالغضب قليلا، كيف لشخص مسؤؤل أن يتصرف هكذا ؟!

فتحت الورقه لأعرف عما تحتوي :

" أسفه لما حدث، أعلم انك غاضبة الأن ولكن هذا أفضل لكلانا، علمت أنك أصبحت المسؤلة الأن عن حالة " هنا " ؛ لذا لابد أن أخبرك شيئا، الملف المتواجد ل " هنا " وسط ملفات المرضي غير حقيقي، معلوماته جميعها زائفه، هي ليست مريضه، التقرير المرضي الموجود داخل الملف هو تقرير مزورافتعله والدها ليلقي بها في المصحه هناك،

مشكلة " هنا " أكبر من ذلك بكثير، ولكن إن أردتي البقاء هناك، لا تحاولي أبدا أن تبحثي عن حقيقتها "

غادرت سريعا، عدت إلي المصحه، عقلي يحدثني بالذهاب إليها، نظرت إلي الورقة بين يداي وأنا أتذكر..

" ولكن إن أردتي البقاء هناك، لا تحاولي أبدا البحث عن حقيقتها "

وضعت الورقه بداخل حقيبتي واتجهت نحو غرفتها، طرقت باب غرفتها عدة مرات حتي اتاني صوتها يسمح لي بالدخول، دققت في تفاصيل الغرفه بإستغراب، هي ليست غرفة عاديه، ألوانها مبهجه، ترتيب الأدوات هنا مميز، لمسة الدفئ بالغرفه مثيرة للاستغراب..

اقتربت من مقعد صغير فدعتني " هنا " للجلوس..

جلست ومازال الانهار يغمر روحي متسائلا كثيرا دون اجابات..

اقتربت مني وانحنت نحوي وبادرتني بسؤالها الغريب..

_ لم تكملين معي في علاجي النفسي ؟

ابتسمت بهدوء وأجبتها :

_ إنه عملي ياصغيرة

داهمتني بسؤالها الأخر :

_ أكل هذا الوقت لم يكشف لك حقيقتي!

_ حقيقة أنك لست مريضه من الأساس !

نظرت نحوي وضمت شفتيها بإعجاب..

_ يبدو أن دكتورتي الجديده لديها من الذكاء الكثير، أم أن صديقتك أخبرتك بهذا ؟ علي أي حال لطالما أنك توصلتي إلي الحقيقه فهذا يعني أن العد التنازلي قد بدأ.. وداعا دكتورتي العزيزه..

_ بل أنا من ستودعك يا " هنا "، لابد أن تغادري، لدي أمر بتقديم تقرير خاص بشأن حالتك..

_ ألا تعلمين كم من الطبيبات كن مسؤلات عن حالتي من قبل ؟ ألا تعلمي أين هم الأن ؟ لقد غادروا فور أن حاولوا تقديم تقريرات بشأني، أنا هنا منذ أكثر من عشرة أعوام، ولا أحبذ المغادره، فلا تحاولي..

فتحت باب الغرفه ووقفت بجانبه تنظر نحوي بإبتسامه مصطنعه، فهمت مقصدها فغادرت، أغلقت الباب فور خروجي وسمعت بكائها، الأمر غريب حقا..

_ لا تقلقي يا " هنا " لن تغادري إلا بعد أن أعرف القصه كامله..

****

دلفت إلي غرفتي، ألقيت بنفسي علي السرير بإنهاك، لقد كان اليوم شاق بحق، مددت يدي لأخرج الورقة الصغيره وأعيد قرأتها من جديد، استوقفتني إحدي الجمل :

" التقرير المرضي الموجود داخل الملف هو تقرير مزورافتعله والدها ليلقي بها في المصحه هناك " !

وتذكرت " هنا " تخبرني :

"أنا هنا منذ أكثر من عشرة أعوام، ولا أحبذ المغادره، فلا تحاولي.. "

حدثت نفسي بتعجب :

عشرة أعوام! وأبيها هو من ألقي بها هنا ؟ أعتقد أن هذا صحيح، لقد مر ستة أشهر منذ أول مرة رأيت بها " هنا "، لم أري أحدا يأتي لزيارتها أبدا، يبدو الأمر غريب ولكن لابد أن أعرف ماهو..

إلتفت بجانبي باستغراب، كيف لتلك المزهريه بأن تقع أرضا هكذا ؟ لا يوجد هنا أي شئ يستدعي ذلك، حسنا هذا ليس بأمر جلل، غادرت سريري بكسل، لملمت الزجاج المنكسر وألقيت به في صندوق القمامه، أثناء عودتي إلي السرير لاحظت دماءا كثيرة تملأ الارض، نظرت إلي يدي لعلها أصيبت من الزجاج ولكن لاشئ، الدماء تزداد، الأطباق علي المنضده تنكسر واحدا تلو الأخر، الاضواء

تنطفئ، هـواء شـديد يملأ الغرفـه علي الـرغم مـن إغلاقـها التـام، الغرفـه بأكملها تتغير، أشـعر وكأنني أقـف في بركـة دمـاء، لا أعلـم إن كنــت أرتجــف مــن البـرد أو الخــوف، صـرخات تـدوي، وعظـام تطـوف علي الـدماء، إنـاث كثـر يقفـن بعيـدا وينظـرون نحـوي بأسـي، كلمـا حـاول أحـدهم الاقتراب يذوب بالدماء وتطفو عظامه، رأيت " هنا " أمامي تمسـك بيـدي، فـور أن رأيتهـا حتي تحـول كـل شـئ، أنهـا محطة قطار! أجلس أنا علي رصيف الركاب و " هنا " تقف علي الـرصيف المقابل وتبتسم بخبث، أردت التحدث إليها غير أنها إختفت تماما، لا أحد هنا سوي أنا فقط، سمعت صفيرا يعلن عن قدوم القطار، شعرت بأحدهم يلقي بي علي القضـبان، حاولـت الإفـلات غيـر أنني أشـعر وكـأنني مقيدة تماما، أحاول الصراخ وصوتي يأبي الخروج، اقترب القطـار بشـده، أغمضـت عيني بإستسـلام، شـعرت بيـد توضع علي كتفي، انتفضت في فزع، التفت حولي فلم أجد

شيئا، إنها غرفتي، وتلك العامله تخبرني أن الساعه قد تعدت الثامنه ولابد أن أتجه للعمل، أومأت برأسي في شرود فغادرت، مازلت لا أفهم شيئا، هل هذا حقيقي أم هو توهم مني أنا ؟ ولكن كيف له بأن يكون وهم ؟ ها أنا ذا مازلت واقعة علي الارض كما كنت أمام القطار، ويدي! نظرت إلي يدي وتحسست اللون الأزرق الذي إحتلها بيدي الأخري، إنها يدي التي أمسكت بها " هنا "، إذا الأمر لم يكن وهما أو حلما !..

****

بينما اجلس منهمكه في عملي سمعت طرقات علي باب مكتبي، أذنت للطارق بالدخول فتفاجأت ب " هنا " تدلف إلي مكتبي..

تركـت عملي وتابعتهـا بعيني دون ان اتفـوه ببنـت شـفه، جلسـت امـام مكتبي وقـد اجتـاح الحـزن ملامحهـا، نظـرت ارضا وتحدثت :

_ لـم يكـن في حسـباني أن تصبـحي انـت هنـا، لـم أعلـم أنك ستكونين جـزءا مـن تلك اللعبـه السخيفه، أحببتك ؛ لـذا ارجـوك إرحلي، لا أريـد أن يصيبك أذي أبـدا، اتوسـل إليك أن ترحلي من هنـا..

نظرت إليها بإستغراب فأردفت :

_ أعلـم كل ماحـدث معك ليله البارحـه، ولـولا توسـلاتي لـه لكنت اليوم داخل قبرك.

استفقت من شرودي بتلك الملامح البريئه، كيف لها بأن تتصنع البراءة هكذا!

انتقلت لاجلس في مواجهتها، نظرت لها بقوة، عينيها التي غلب عليها الاحمرار تبدو صادقه حقا، هي حقا صادقه..

حدثتها وأنا لا أطيق النظر إليها فأشحت بوجهي ناحية الباب :

_ لم أنم ليله البارحه..

_ أعلم..

_ لم فعلت هذا ؟

_ لم أفعل شئ، أقسم لك ان تلك الفتاة لم تكن أنا، أنا لم اغادر غرفتي منذ أن جئتي لزيارتي، جلست أبكي وانتحب، ليس في وسعي ماأفعله دون ذلك.

نظرت لها بتوجس والتمس الخوف قلبي :

_ لا أفهم، ماذا يحدث ؟

_ هذا أفضل صدقيني، يجب أن ترحلي، لابد أن تحافظي علي حياتك..

همت بالمغادره فأستوقفتها متسائله :

_ أنتي لست مريضه، لم انتي هنا ؟ ولم يحذرني الجميع منك، فقط أنت هنا دائرة الخوف بالنسبه للجميع..

بكت وانتحبت من جديد، شعرت بالشفقة نحوها، الكره والخوف هما أسوء مايرافقا الإنسان في رحلته، شعور أنك منبوذ يكفي لأن يقتلك مئات المرات وأنت علي قيد الحياه...

تحدثت من بين شهقاتها المتقطعه :

_ لا أعرف لما يهابني الجميع دون ذنب اقترفه، لما يطاردني ذنب لأبي لا دخل لي به

نظرت نحوي وأردفت :

_ تعلمين جيدا أن تحمل خطأ الأخرين مؤلم كثيرا، أليس كذلك ؟

حاولت تهدأتها ولكن كل تلك المحاولات بائت بالفشل، تحدثت إليها فلم تسمع لي، وكأن الجنون قد حل عليها..

لم يمر الكثير حتي هدأت، توجهت نحو الجانب الزجاجي المطل علي محطة القطار القريبه من المصحه، دموعها تنهال في صمت، نظراتها يملأها الخوف، تحدثت بهدوء قاتل وهي تشير نحو المحطه :

_ تلك هي اللعنه، اللعبه بدأت من هنا

_ أي لعنه ؟

_ لعنة أبي، ولعنة قتيل تلك القضبان، تلك التجربه التي عرضتها علينا بالجلسه ليست مجرد قصة متداوله، إنها حقيقة مؤلمه، علي الأقل بالنسبه لشخص مثلي يعاني من تلك الحادثه حتي اليوم...

تنفست بعمق وأغمضت عينيها بألم وأكملت:

_ اللعب في دائرة الموت، والحياد للطريق الخاطئ لم يكن مفتاح النجاة، وإنما كان لعنة لي أنا فقط..

مجموعة الصغار، والطفل العنيد الذي قرر الإنصات لأفكاره اللعينه فقط، لم يكن سوي أبي..

شعرت بالدهشه، كلماتها صادقه، عينيها تدل علي ذلك، نظراتها الدقيقه والملمه بتفاصيل المحطه كامله، لا أعرف

بما أجيبها، لا كلمات لدي، وضعت يدي فوق كتفها لعلي ازيح شيئا من همومها، توجهت لها بسؤال جديد :

_ وماخطبك أنتي بكل هذا، لم أنتي هنا ؟ لم أرسلك والدك إلي هنا ؟

ابتسمت بمراره وأجابت :

_ في البداية لم أرغب في التواجد هنا، أرسلني أبي رغما عني لأنه ظن أنني أصبت بالجنون، دائما ماكنت أري قتيله يطاردني في أحلامي، الحادثه تتكرر لي كل يوم، طفلة في العاشرة من عمرها تري حادث بشع كهذا في أحلامها، وهي تعلم أنه ليس بكابوس عادي، تعلم تفاصيل المحطه التي يحذر الجميع من الإقتراب منها، وعندما أخبرته عن تلك التفاصيل أكثر من مره اتهمني بالجنون، أرسلني هنا

منذ زمن بعيد، مرت أول خمس سنوات، مازلت أعاني من ذاك الكابوس حتي جائني ماهو ابشع منه !

صمتت لوهله، أردتها أن تكمل :

_ ماذا حدث ؟

_ رأيته أمامي، أستطعت لمسه، دمائه السائله وملامحه الشبيه بالمسخ، لم يعد مجرد كابوس، عانيت كثيرا في البدايه لكن لا أحد يهتم، بعد ذلك تعايشت مع الأمر، وأنا من اردت البقاء هنا داخل حدود تلك الجدران..

_ أهذا لأنك غاضبة من أبيك ؟

ابتسـمت بحـزن مـره أخـري ونظـرت في عيني لتجيبني ودموعها تنساب علي وجنتيها:

_ لأن خروجي من هنا يعني موتي، الأمر محسوم..

_ ماذا تقصدين ؟

_ باالتأكيد لا أقصد أنني قد أحببت هنا..

نظرت نحو المحطة مره أخري وأكملت :

_ بالتأكيـد أحـدهم قـد أخبرك بقصـة حـارس المصحه السابق أليس كذلك ؟

_ الذي قمت بقتله أليس كذلك ؟

_ لم أكن أنا، لم أكن بوعيي، حالة أشبه بغياب العقل، بالجنون المؤقت، بالوسوسه.. هل تعرفي معني الوسوسه!

إنها لعنه أصابتني، رغبة الخروج من هنا ليست بإختياري، بل بأختياره هو..

_ من ؟

صرخت :

_ قتيل أبي..

أتعلمي، رغبة أبي ألا أغادر من هنا أبدا يمكن أن تكون الشئ الحسن الوحيد ألذي أتذكره به بقية حياتي، الشئ الوحيد الذي ينقذني من فعلته اللعينه

قتيل أبي يريد إنهاء حياتي كما فعل أبي معه، أنا إبنته ؛ لذا فلابد أن أكون أنا العقاب، الموت..

في المكان ذاته، والقطار نفسه، كل شئ سيتكرر فيما عدا هو، سيظل أبي عنيدا في قراراه، ولكن صحيح القرار لن يكون صديقه الذي مات، بل سأكون أنا، أنا من سيدق

المـوت بابهـا حينـذاك، فقـط للانتقـام، يريـدني أن ادفـع حياتي ثمنا للعبهم داخل دائرة الموت وكأنني أنا من رميتهم لتتلاعب بهم أفكارهم اللعينه للعب علي قضبان السكك الحديديه..

حين أردت الخروج ليلا منعني الحارس، أقصد.. منعه هو من تنفيذ إنتقامه، ثم لم أدري بما حدث، فقط سمعت عن موته وقالوا أنني أنا من قمت بذلك..

نظرت نحوي وسألتني :

_ والآن، هل عرفتي لما يخافني الجميع ؟

تنهدت وأكملت :

_ حتي وإن لم تعرفي لا عليك، فأنا أيضا مازلت لاأعلم حتي الأن.

غادرت مسرعه وهي في حاله انهيار تام، جلست أفكر فيما قالت، كيف لكل هذا أن يحدث ؟ إذا ما حدث معي يعني أنني أصبحت داخل اللعبة الأن !

أغمضت عيني وأمسكت برأسي فهو يكاد ينفجر حقا، احتسيت كوبا من القهوه حتي أستطيع الصمود لنهاية اليوم، جلست لاحدث نفسي، بالطبع هناك حل لما يحدث !

نعم.. أبيها.. أبيها هو الحل الوحيد..

ألقيت علي ملفها نظرة أخيره، حملت التقرير الطبي لها في حقيبتي وغادرت مسرعه، استعرت سيارة المصحه لانفذ ما أردته، انطلقت السياره في طريقها، أشعر بغصة في قلبي، الأمر لا يختلف كثيرا، الماضي يطاردني ،ذكريات كثيرة تجول بخاطري، أعلم ماتعانيه " هنا " الآن، إن أبشع مايمكن أن يمر به الإنسان هو تحمل خطأ أحدهم..

استفقت من تلك الذكريات علي صوت السائق، اخبرني أننا قد وصلنا إلي وجهتنا، نظرت حولي بدهشه، كيف لنا أن نصل بتلك السرعه! نظرت في ساعة يدي فتفاجأت بمرور أكثر من نصف ساعة منذ انطلاقنا بالسياره، أحقا اجتاحت الذكريات عقلي فلم أدري أننا وصلنا ؟

وصلت إلي وجهتي، وقفت أمام منزل " حاتم عبد السلام " أتأمله، أري خطوات " هنا " في الحديقه المجاوره للمنزل ،مددت يدي لأضغط زر الجرس، أشعر بالتوتر، كلمات غير مرتبه، تراجعت عن الجرس حتي أرتب كلماتي، بالتأكيد هو سيتفهم الوضع، إنها إبنته !

فتح الباب دون أن أدقه، ظهر من خلفه رجل في نهاية عقده الخامس، وقف ينظر لي بإستغراب :

_ مرحبا، أي مساعده ؟

_ مرحبـــا، أنـــا دكتـــوره ماريهـــان، أود التحـــدث معـــك بخصوص...

_ " هنا " ؟

ابتسمت وأجبته :

_ نعم..

_ أسف ليس لدي وقت، المعذره، إلي اللقاء..

تركني وغادر، وقفت أشاهده وهو يبتعد، أشعر بالدهشة حقا، إنها إبنته! كيف له بأن يتعامل هكذا ؟!

ذهبــت لأجلــس بالحديقــة المجــاوره لمنزلــه، تــذكرت أبــي وعطفه، وتسائلت كيف لأب أن يكون بتلك القسوة !

عادت لي ذكرياتي من جديد، صوت هنا يتردد في أذني :

" تعلمين جيدا أن تحمل أخطاء الأخرين مؤلم للغايه "

تنهدت بحزن، أخذني الحنين إلي حيث ذكرياتي الجميله، ابتسمت رغما عني، ثم إلي أسوء ذكرياتي، جال السؤال في خاطري من جديد، كيف لأحد أن يدفع ثمن أخطاء اخر ؟

****

بداخل إحدي المصانع الكبري بالقاهره، بعض الرجال يقفون في دائره ويغلب عليهم الحزن، و تسود خلفهم حالة من الهرج والمرج، الكثير من العمال يتهافتون لرؤية مابداخل تلك الدائره، رجل أخر يهتف باعلي صوته متسائلا :

_ أين سالم ؟ أين ذهب سالم ؟

أحد العمال يأتي مسرعا ليلبي النداء، ساد الصمت والنظرات هي التي تتحدث، الجميع يراقب " سالم "

بعيونـه، وقـف " سـالم " أمـام صـاحب الصـوت الغلـيظ متسائلا :

ماذا حدث ياسيدي ؟

_ أمازلـت لا تعلـم ماحـدث يـا " سـالم "، حسـنا إنظـر خلفك..

التفت ليري ماذا هناك، حل الصمت لفتره، الدموع تملأ مقلتيه، لا يصدق مايري..

انـدفع " سـالم " في لهفـة نحـو الجثـة الملقـاه داخـل تلـك الـدائره، إنـه صـديق عمـره، تنحي الرجـال ليفسـحوا لـه طريقـا، افترش " سـالم " الأرض بحسـرة وأخـذ يمسـك بيـد صـديقه ليقبلهـا، انهالـت دموعـه لتغـرق وجنتيـه تحسـرا وحزنا...

إن الغربة الحقيقيه هي أن تحيي بدون صديق واحد علي الأقل، أصعب ما يمكن أن تجتازه ليصبح إنجازا حقيقي هو أن تمتلك صديقا حقيقي يكون لك عونا، يكون لك عينا تري بها وسط الظلام، كسفينه العبور من بحر المآسي إلي بر الإرتياح، الصديق الحقيقي كحل وحيد لاحجية عجز عن حلها الكثير..

أخذ يحتضن رأس صديقه ويصرخ مناديا إياه أن يعد، لايمكن أن يرحل و يتركه وحيدا هنا..

تحدث صاحب الصوت الغليط مرة أخري موجها حديثه إلي " سالم " :

_ أسف يا " سالم " عما سأخبرك به، ولكنك محال إلي التحقيق بتهمة إهمالك في عملك، أما التهمة الثانيه فيؤسفني كثيرا أن أخبرك بأنك سببا في موت صديقك..

غادر " سالم " العمل وعاد إلي البيت، إستقبلته صغيرته بمرح، حاول جاهدا أن يبادلها تلك الإبتسامه غير أنه فشل بجداره، دلف إلي غرفته في صمت، أحداث اليوم جميعها تعاد داخل عقله، يكاد رأسه أن ينفجر، كيف له بأن يقتل صديق عمره ورفيق الكفاح ؟؟

كيف له أن يكون سببا في تعاست صغاره ؟

إحتل التفكير عقلة لساعات طويلة، شعر فجأه بالإختناق، ألم شديد في كتفه الأيمن، يشعر وكأن روحه تسلب، لا يستطيع مناداة أحد..

مرت ساعات ولا أحد يعرف ماذا حل ب " سالم "، توجهت زوجته لتري ماذا يحدث داخل غرفتهم فتجده ملقي علي الأرض دون حراك، إستدعت الطبيب الذي أعلن وفاة " سالم " فور وصوله..

صراخ يملأ المنزل، أصوات النساء عالية، نظرات الشفقة تملأ المكان، و " ماريهان " الصغيرة تقف جانبا لتتابع مايحدث، إحداهن تتحدث وسط نحيبها مناديه ل " سالم "..

_ آآآآآآآآه يا " سالم "، آآآآآآآآه يا حبيبي، لماذا رحلت لماااااذا، لقد رحل " سالم " يا عشيرتنا، لقد رحل " سالم "

****

صوت أحدهم ينادي، إنه السائق، عدت إلي الواقع لأجد أن الوقت بات متأخرا، عدت إلي المصحه مرة اخري والذكريات قد إستنزفت من قلبي الكثير، دلفت إلي غرفتي مباشرة، لا أريد التحدث إلي أحد، ليلة أخري لا أستطيع النوم بها..

الذكريات قاتله حتي وإن كانت لطيفة، فمرها يجعلك تتألم وتعيش المأساة من جديد كلما تذكرتها، وحلوها يجعل الإشتياق يأكل من روحك..

الوقت تعدي الحادية عشر، النوم مازال يجافيني، أمسكت بهاتفي، تفحصت الصور جميعها، تفصحت تلك الذكريات، تلك المذكرات التي دونتها في اليوم التي مات فيه أبي..

" أعلم أننا كنا سنفترق حتما، في يوما ما، في ساعة ما، أحدا منا سيترك الأخر ويبتعد، تمنيت لو كنت أنا من رحلت، لا أظن أن الحياة من اليوم ستكون لها أهميه، اليوم.. لقد أخذت روحي معك ياحبيب قلبي "

لفت انتباهي تلك الكلمات التي دونتها عما قريب :

" أيا حبيبي نم مطمئنا ؛ فلا ذنبا لديك لتحمله، الأمر لم يكن خاطئا مطلقا، ما مات صديقك بسببك، إنها لتهمة ملفقة، والمذنب نال من العقاب مايستحق ؛ فإطمئن الآن "

أمسكت بقلمي لأدون من جديد :

" إن " هنا " لعلي حق، ليس بوسع الإنسان أن يتحمل خطأ لم يفعله، الأمر أكثر من مؤلم "

أغلقت مذكراتي وألقيت بقلمي بعيدا..

_ آآآآآآآآه يا أبي، ليتك كنت هنا، لقد إشتقت إليك كثيرا..

بينما أسرح في تلك الذكريات، سمعت صوتا ما من حولي، بل هو أشبه بالفحيح، مزهرية أخري تنكسر، دماء تظهر من جديد، أصوات متداخله من حولي، صرخت كثيرا دون جدوي، سمعت ضحكته وهو يحدثني :

_ لا فائدة من هذا، لن يسمعك أحد..

تكومت علي نفسي في زاويه بعيده، صمت ولم أتفوه ببنت شفه، فقط أبكي بحسرة علي ماأنا به الأن، أتابع مايحدث أمام عيني..

لـو أن أحـدهم هـو مـن ألقـي علي مسـمعي قصـة كهـذه لكتبت له تقريرا بالعلاج النفسي..

دخـان كثيـف يمـلأ الغرفـه، أغمضـت عيني في رهبـه، سـمعت صـوته قريبـا مـن مجلسـي، وكأنـه يقـف أمـامي ويقول :

_ لم تغمضين عينيك ؟ ألا تريدين أن تريني دكتوره ؟

اتنفضت في فزع، بالتأكيد هذا أخر ما أتمناه، لا أتحمل أن أري ماوصفته لي " هنا " اليوم...

فتحت عيني تدريجيا، رأيته أمامي، إبتلعت ريقي بصعوبه وزاد بكائي، الوضع أبشع مما ظننت بكثير، إنه ليس مسخ فقط، هو أسوأ من هذا، رأسه مهشمه تماما، لا يمتلك أي ذراع، جسده يحمل من الجروح والقطوع الكثير، ملامح وجهه ممسوحه تماما، لا أعين لديه، فمه دون فك سفلي، رقبته غير مثبته علي جسده بل أنها شبه مفصوله عن جسده، جحظت عيناي في فزع و غير قادره علي التحدث، تحدث هو :

_ هذا ما فعله بي " حاتم "، هذا ما حدث لي.

ابتلعت ريقي وحاولت التحدث، صوتي يأبي الخروج، جاهدت لوقت كبير، أو لربما ظننت ذلك، فالوقت الآن متوقف، اللحظه تمر وكأنها سنوات عجاف، حاولت التحدث بعقلانيه، أخشي أن أثير غصب ذاك المسخ الذي يقف أمامي:

_ لا ذنب ل " حاتم " بما حدث، لقد كان هذا خطأ سائق القطار، هو كان بيده الاختيار إما أن يقتلك أنت وصديقك وإما..

ثار المسخ أكثر مما ينبغي، الغرفه تهتز بشده، صرخات متواصله تدوي أطلب بها مساعدة أحدهم، صوته الغاضب يصيح بي :

_ لم أختر البقاء علي الطريق الخاطئ، لو لم يقم " حاتم " بفعله الخاطئ واللعب علي قضيب القطار الذي يعمل لكنت أنا حيا أزرق الآن، أو علي الأقل لكنت مت بطريقة أفضل، لا يفترض بي أن أتحمل ذنب خطأه..

_ والآن أنت تحمل إبنتها ثمن اخطائه أيضا، لا ذنب لها بما اقترفه أبيها..

أيا دكتوره، الجزاء من جنس العمل، ولابد أن يكون الجزاء رادع..

جال بذهني سؤال فبادرته به :

_ كم سنه مرت علي تلك الحادثه ؟ كم مرة حاولت إهلاك الفتاه ؟ كم مرة انتبه لها أبيها من الأساس ؟

ألـم تخبرنـي بـأن الجـزاء مـن جـنس العمـل ؟ إذا فلـم لا تعاقبه هو ؟ أ كل تلك الفتره لم تلحظ مايحدث!

إنـه لا يحمـل مشـاعر أبـوه نحـو الفتـاة مطلقـا يـاعزيزي، أتظن أن موتها قد يأثر به ؟ أنت مخطئ، لقد ألقي بإبنته بين جدران تلك المصحه لمجرد أنها ذكرتك أنت، يعلم أن إبتـه ليسـت مريضـه ولكنـه يخشـي أن ينفضح أمـره علي يديها، رجل قد تعدي الخامسة وخمسون كم سنه تعتقد أنه سيبقاها حيا ؟

القليل! بل القليل جدا !

لكنـه فضـل أن يحياهـا بحريتـه دون عقـاب لذنبـه، فـألقي إبنتـه في مقتبـل عمرهـا داخـل مصحه نفسـيه وإتهمهـا

بـالجنون، لقـد اخترت الطريـق الخـاطئ، هـو لـن يشـعر بالندم أبدا لكونه السبب في قتل إبنته، لم لا تنتقم منه هو بنفسه ؟

_ الراحـة الحقيقيـة هي الإطمئنـان لوجـود شـخص مـا بحياتك، حتي لـو كان بعيـدا غير مباليـا، أو حتي أنـت من ألقيت به بعيدا، ولكن في النهايه، هو قريب ومتواجد..

بالضـبط ك حـال " حـاتم "، ألقي بتلـك الفتـاة المسـكينة هنا، ولكنه علي ثقه كاملة من وجودها، وإن كنت تبحثين عن الحقيقه فأنا لا أريده أن يشعر بالإطمنان أبدا..

_ وما ذنب الفتاه ؟

_ أنـه أبيهـا.. وأيضـا، أنـا علي علـم تـام بأنهـا تعـيش حيـاة بائسه، فلما لا أخلصها من كل هذا العذاب ؟

_ ليس من شأنها، ليس من شأن الإنسان أن يختار والديه، لو كان بيدنا لما اختار أحد " حاتم " هذا كأب، ولما إختار أخرين آبائهم، الكثيرون والكثيرون يعانون بسبب آبائهم، وأخرين يتعرضون لعنف أسري، فهل يختار أحدا عذاب كهذا من رأيك ؟

وإذا ؟! فلما أطفال الشوارع دون آباء يحتضنونهم حتي ولو كانت قسوة الآباء هي مصيرهم ؟ أكانت قسوة الشوارع أفضل من احضان الآباء ؟ أقسم لك أن الأمر لو كان بأيدينا لما أخترنا آباءا قاسية، وما تركنا للشوارع أطفالا بريئه تحتضنها، كف عن هذا أرجوك، لاذنب للفتاة، إنها بريئه..

أنهيت حديثي ولم أجده أمامي، إختفي سريعا، بينما سمعت فحيحا يهمس لي :

_ لقد فات الآوان..

سمعت صرخات تدوي، الصوت يأتي من هناك، تلك الجهه التي تقع بها محطة القطار، أسرعت بالخروج وإتجهت للمحطه لأري ماذا هناك فصدمت، أشعر وكأن أطرافي قد شلت، الفتاة المسكينه قد تحولت إلي أشلاء فوق القضبان، " حاتم " يقف في الناحية الأخري وتحل عليه الصدمه، وذاك المسخ يقف فوق رصيف الانتظار ليتابع الأحداث..

مر خمسة أشهر علي الحادثه، كل الأوراق التي تخص " هنا " وحالتها إختفت تماما، الأطباء هنا لايذكرونها أبدا، لا أحد هنا يعترف بكونها مريضة هنا بالمصحه، حتي الطبيبة " هند " لا تتذكرها، لا أحد هنا يذكرها مطلقا سوي أنا وأبيها، لو لم يكن " حاتم " هنا لظننت أن " هنا " هي حالة أخترعتها أنا من وهم خيالي..

ولكن علي أية حال..

" تلك المحطه أصبحت مهجورة الآن ولم تعد تدر نفعا او ضرا لأحد سوي قلبي الذي تحطم فوق القضبان بجانب أشلاء الصغيره "

إعتزلت أنا مهنتي، غير أنني لم أعتزل حالة " حاتم " الذي تحول إلي مريض نفسي بعد وفاة إبنته..

من اعترافات حاتم :

" لقد ندمت كثيرا عما حل بي في صغري، لقد كنت طائشا جدا حتي أوديت بحياة صديقي، وإبنتي من بعده، في البدايه أقصيت إبنتي وأرسلتها إلي المصحه خوفا من أن يكشف أمري الذي عانيت كثيرا حتي أخفيه وأضعة تحت بند " لعبة القدر "، وبعد مدة قصيرة أكتشفت أن حياة إبنتي معرضه للخطر، ولم أجد مكان أفضل من هنا لابقيها به، مرت السنوات، ولا أعلم مايحدث هنا، لا أعلم ما تعانيه إبنتي، وفي تلك الليلة الشائمه، شعرت وكأنني

مقيـدا، أنجـذب إلي المحطـة دون إرادتـي، وكـأنني قطعـة معـدن تنجـذب نحـو مغنـاطيس، فـور وصـولي وجـدت أن إبنتي تقف فـوق القضبان، لـم أسـتطع إنقاذهـا أبدا، ولـم أستطع حتي أن أطلب منها المغفره، فقد فات الأوان "

****

مــن مــذاكرات " ماريهــان " احــدي المرضــي النفســيين بالمستشفي:

" أنـا دكتـورة ماريهـان سـالم، إلتحقـت بالمصحة هنـا قريبـا، وأنا الطبيبة المسؤلة عن حالة " هنا " "

****

مرحبا..

أنــا دكتــورة " ياســمين " الطبيبــة المســؤولة عــن حالــة " ماريهان"، تلك السيدة التي التحقت بالمصحة هنا منذ أيام

بعـد أن قتلـت شخصـا يـدعي " مختـار " بتهمـة الادعـاء بالكذب، قالت أنه قام بتلفيق إحدى الاتهامات لأبيها ثم أصيبت بالجنون بعد ساعات قليلة من انتقامها..

فـور أن أنهيـت قـراءة مـذاكرات " ماريهـان " شـعرت بالدهشـة، فـ " هنـا " إحـدى الحـالات المتواجـدة هنـا منـذ أكثر مـن عشـر سـنوات بالـفعـل، تلـك التفاصـيل مدونـه بالتفصيل، " هنا " تلك الفتاة القابعة بالغرفه رقم "605" و التي تعـاني مـن مسـخ يريـد الانتقـام منهـا، التفاصـيل مريبة..

"هنا "

" حاتم "

انهم بالفعل حالات بداخل المصحه..

والسؤال هنا..

لما اختار عقل " ماريهان " أن يقنعها بكونها طبيبه ؟ أكانت هي طبيبة حقا ؟

أخشي أن أكون مريضة أخري ألقي بها القدر بين تلك الجدران اللعينة..

#تمت

****